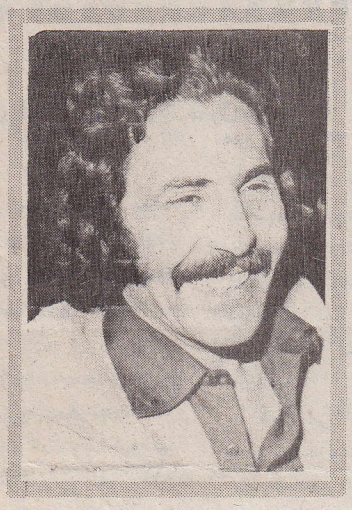

الرسام رافع الناصري يقدم في محترفه على خطوة استثنائية اخرى فبعد ان اقام معرضا لأعماله في (المونوتايب) ، وعرض العديد من اعماله الكرافيكية ، وقدم رسوما مدهشة لاسماعيل فتاح ، وعرض مجموعة جميلة من الاعمال الصغيرة لمحمد مهر الدين ، هاهو يقدم الرسام ضياء العزاوي عبر تجربة لها اكثر من معنى . ومثلما عودنا ضياء العزاوي من خلال تجاربه المتلاحقة وغزارته في الانتاج على التنوع يأتينا هذه المرة بأعمال معباة بالحنين الى جواد سليم ، رساما رؤيويا خارقا .

العزاوي والناصري يحتفيان بجواد

■ فاروق يوسف

(١)

هذه الأعمال القليلة ، والتي نفذت ببساطة تقنية يحسد عليها العزاوي في هذا الزمن المتخم بالتعقيد ماهي الا جزء من مشروع سعى العزاوي الى طرحه في وقت سابق في محاولة منه لتسديد جزء من دين الفن التشكيلي العراقي لجواد سليم . إنه إذن تحية وفاء ليس الا ، ولكنه على صعيد التجربة الفنية اكبر من ذلك بكثير .

فضياء العزاوي ياتينا هذه المرة ، ايضا ، من حيث لم نكن نتوقعه ، إذ أنه يخوض غمار مغامرة فنية لم يخضها فنان عربي قبله . على الرغم من أن هذا النوع من المغامرات معروف في الغرب ومنذ بدايات هذا القرن . لقد فعلها من قبل بابلو بيكاسو مأسورا إلى عمل من اعمال ديلاكروا وبالرغم من قوة وجنون (المخترع) الذي كان يتحكم ب (بيكاسو) ، غير انه وهو يعيد صياغة عمل (ديلاكروا) ظل ينظر بعينين مسحورتين ، هي ذات العينين اللتين نظر عبرهما ضياء العزاوي الى لوحات جواد سليم . اتراها محض صدفة تلك التي دفعت بضياء العزاوي إلى أن يقطع تجاربه الشخصية ليعود إلى جواد ، أم هو التخطيط المسبق لارتكاب فعل ما ؟ ثم هل بامكاننا ، ونحن خارج فعل الرسم - أن نحدد الدوافع التي تحكمت بهذا الفعل ؟ اتراه وهو يعيد رسم عدد من لوحات جواد كان يرغب في إعادة ترميم عالم انمحى - أم أنه يبحث عن أسباب الاتصال في عالم تتحكم به أسباب الانقطاع والعزلة اكثر فاكثر ؟

اسئلة واسئلة ..

على صعيد تجربتين ، داب ضياء العزاوي عبر مسيرته الفنية والفكرية على تداخلهما ، وتلاقحهما ، وغياب الحدود في ما بينهما : تجربة الفن وتجربة الانسان .

إن ضياء العزاوي ، وهو يعود إلى جواد سليم - لايمارس فعل التوبة - وهو يشعر بالاثم . بل على العكس من ذلك تماما ، إنه ينقب مستمتعا وهو يعرض ماهو موجود لديه ، فعلا ، من جواد . إنه يكشف عن قوة جواد التي استطاع بمرور الزمن . ان يحولها في اعماقه إلى قوة دفع شخصية .

اليس ، حقيقة ، ان الرسام ، هو مجموعة الرسامين الذين اعجب بهم وضياء لم يكن في يوم من الأيام بعيدا عن الاعجاب بجواد سليم .

(٢)

إذن ، فضياء العزاوي ، وهذا ما اصر عليه ، ارتكب فعله عن عمد وتصميم مسبق . ولو عدنا إلى ماضي هذا الرسام او إلى اهم المراحل الفنية التي مر بها لاكتشفنا أن ما يصل بينه وبين جواد على صعيدي التقنيات والرؤى كان ومايزال يشكل رصيدا احتياطيا يرجع إليه وقتما يشاء . قد يقول قائل : إن تاثير جواد سليم في الرسم العراقي كان شاملا - وأن ليس هنالك من رسام لم يتاثر او على الاقل لم يقف مسحورا أمام نتاج جواد ، الذي كان ينبي اكثر مما يظهر ويؤكد - وهذا برايي قول صحيح - ولكن هذا الأمر بالنسبة لضياء العزاوي كان يحمل خاصيته الى حد ما . فالعزاوي في بداياته بشكل خاص - وفي مراحل عدة من مسيرته الفنية انهمك في التخطيط - منبهرا بقوة الخط وادائه الجمالي وقدرته الخارقة على التعبير والكشف من موقع ثراء تعبيري وليس من موقع احتيال تقني كما يفعل اللون .

وكان ذلك تعبير عن اختيار الطريق الأصعب . ومن المعروف أن جواد سليم كان ينزع ذات النزعة - بل إنه يعد وبدون منافس سيد التخطيط في الرسم العراقي المعاصر هذا من ناحية - ومن ناحية اخرى فان اهتمام العزاوي بالشرق وبحثه عما يقوي في اعماقه دوافع وقوة استقرار (الشرقي) لم يكن امرا طارئا . أو رغبة في الانسياق وراء صيحة اجتماعية مؤقتة بل إنه ، وبوصفه ، رجلا درس الآثار في مقتبل حياته . كان يغني روحه باسباب الاشراق والاكتمال والبريق حيث يعيد اكتشاف الشرق .

لقد كان العزاوي ومايزال حين يتجه الى الشرق يعرف انه يجوهر روحه (وهذا ما تكشف عنه عودته المستمرة إلى الف ليلة وليلة والمعلقات العربية) .

وكان جواد من جهته ومايزال اكثر من فتك به الشرق ، وآثار هذا الفتك واضحة في جميع اعمال هذا الرسام - الذي لم يتسع عمره القصير لاظهار السحر الذي كان يفعل فعله في روحه . والان ، ايمكن أن نشعر بغربتنا ونحن نقف إزاء أعمال ضياء العزاوي التي هي تعبير عن التقاء روحي - اكثر مما هي تجسيد لتضامن خلقي ؟

(٣)

العزاوي كما قلت فعل مالم يفعله رسام عراقي قبله .

غير أنه عبر مرة اخرى عن ذكائه - اولا - وعن إيمانه الحقيقي بقوة الفن - ثانيا . فجواد ، في تاريخ الفن التشكيلي العراقي ، ليس غيره فاذا ما كان الفن التشكيلي العراقي قد سعد بفنانين كبار في مختلف مراحله ، فانه كان ومايزال يقف عاجزا أمام توليد مخترع جديد شبيه بذلك المخترع الذي هو جواد سليم وليس غيره .

ذلك الأب الذي ظل الرسم والنحت في العراق يتيمين بموته ، ولهذا ، فان جواد سليم ، يبقى بالنسبة للفنانين الحقيقيين يسكن في المناطق الحرة للمخيلة . هذه المناطق التي تتحرك حدودها وتتغير مساحاتها مع تطور وتنوع وتجدد الفن ولهذا فليس غريبا أن يندفع واحد من كبار رسامينا في هذا العصر ، اقصد ضياء العزاوي ليتلمس نفس المواقع التي تلمسها جواد سليم ، لا ليعيد اليها الحياة ، حسب ، بل ليعيد اكتشاف ما اسره منها في زمن سابق .

إذن فالعزاوي لم يقصد أن يفسر لوحات جواد . ولم يرغب في محاكمتها ناقدا - بل أراد أن يتعرف اليها مجددا . أراد أن يظهر مواقع السحر والقوة والجاذبية فيها . أراد أن يمنحها شيئا من إحساسه بها . أراد أن يتمثلها كما لو انها تسكن مخيلته . فليس غريبا أن تتحول الأعمال الفنية إلى احداث وكائنات حية تتحرك بعفوية وبقدرة هائلة على الاقناع في مخيلاتنا ، فهي وبمرور الوقت تتحول الى جزء أساس من أرواحنا ، وتاريخنا الشخصي . هل كان ضياء العزاوي يتمنى لو ان جواد سليم رسم الكوفة كما رسمها هو ؟

اعتقد انه سؤال ساذج ليس الا .

لم يفكر به ضياء العزاوي . كما أن جوادا كان متاكدا في حينه أن مارآه لايمكن أن يراه احد اخر غيره ، الا من خلال عينيه . وهذا ما فعله ضياء العزاوي بالضبط لقد حاول أن ينظر من خلال عيني جواد ليرى، ولنرى .

شكرا ضياء شكرا رافع .